زينب بنت موسى

كان سبب شغف ابن أبي ربيعة بزينب بنت موسى كما قال صاحب الأغاني ان ابن أبي عتيق ذكرها عنده يوماً فأطراها ووصف من عقلها وأدبها وجمالها ماشغل قلبه وأماله إليها ، فقال فيها الشعر وشبَّب بها . فمن ذلك هذه النونية :

يا خليليَّ من ملام دعاني ... وألمّا الغداةَ بالأظعانِ
لا تلوما في آل زينب ان الـ ... ـقلب رهنٌ بآل زينب عاني
ما أرى ما بقيت ان أذكر المو ...
قف منها بالخَيْفِ إلاّ شجاني[1]

(١) الخيف ما انحدر من غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء ، وهو هنا موضع في مكة عند منى . قال نصيب :

ولم أر ليلى بعد موقف ساعة ... بخيف منى ترمى جمار المحصب
ويبدى الحصا منها اذا قذفت به ... من البرد أطراف البنان المخضب

قال ابن جنى : أصل الخيف الاختلاف وذلك ان ما انحدر من الجبل فليس شرفاً ولا حضيضاً فهو مخالف لهما . ومنه : الناس أخياف أى مختلفون . قال الشاعر :

الناس أخيـاف وشتى في الشيم ... وكلهم يجمعهم بيت الادم

لم تَدَعْ للنساء عندى نصيباً ... غير ماقلت مازحاً بلسانى [1]

هى أهل الصفاء والود منى ... وإليها الهوى فلا تعذلانى

حين قالت لأختها ولأخرى ... من قطين ، مُوَلَّدٍ : حدِّثانى [2]

كيف لى اليوم أن أرى عمر المُر ... سِلَ سرًّا فى القول أن يلقانى

قالتا نبتغى رسولاً إليه ... ونميت الحديث بالكتمان

ان قلبى بعد الذى نلت منها ... كالمعنَّى عن سائر النسوان [3]

فلما بلغ ذلك ابن أبى عتيق لامه وقال له : أتنطق الشعر فى ابنة عمى ؟ فقال :

إننى اليومَ عادنى أحزانى ... وتذكرت ميعتى فى زمانى [4]

وتذكرت ظبية أُم رئمٍ ... هاج لى الشوق ذكرها فشجانى [5]

لا تلمنى عتيق حسبى الذى بى ... إن بى يا عتيق ما قد كفانى

لا تلمنى وأنت زينتها لى ... أنت مثل الشيطان للانسان

(١) لما سمع ابن أبى عتيق هذا البيت قال : رضيت لها بالمودة وللنساء بالدهفشة ــ والدهفشة : التجميش والخديعة بالشىء اليسير ــ والتجميش القرص باطراف الاصابع

(٢) القطين : الخدم والاتباع : والمولد من العبيد والاماء من ولد بين العرب ونشأ مع أولادهم (٣) المعنى : المحبوس (٤) الميعة : أول الشباب (٥) الرئم : ولد الظبية ويجمع على آرام وأرآم

إن بي داخلاً من الحب قد أبـ ... ـلى عظامي مكنونُه وبراني
لو بعينيك ياعتيق نظرنا ... ليلة السفح قرَّت العينان
إذ بدا الكشح والوشاح من الدر ... وفصلٌ فيه من المرجان[1]
قد قَلَى قلبيَ النساء سواها ... بعد ما كان مغرماً بالغواني
إن دهراً يلُفُّ شملي بسُعدى ... لزمانٌ يهم بالاحسانِ
ليتني أشترى لنفسيَ منها ... مثل ودي بساعدي وبناني
خلَجَتْ عينيَ اليمين بخير ... تلك عينٌ مأمونة الخلجانِ

قال قُدَامة بن موسى : خرجت بأختي زينب إلى العمرة فلما كانت بسرف [2] لقيني عمر بن أبي ربيعة على فرس فسلّم عليَّ . فقلت له : إلى أين أراك متوجّهاً يا أبا الخطاب ؟ فقال : ذكرت لي امرأة من قومي بَرْزة الجمال [3] فأردت الحديث معها ، فقلت : هل علمت أنها أختي ؟ فقال : لا ، واستحيا وثني عنق فرسه راجعاً إلى مكة [4]

وخرج ابن أبي ربيعة يريد المسجد وخرجت زينب تريده ، فالتقيا

(١) الكشح مابين الخاصرة الى الضلع الخلف — والوشاح : اديم عريض يرصع بالجوهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . وفصل الدر بالمرجان تفريقه فيه فيقال : وشاح مفصل . وتوصف المرأة الهيفاء بأنها غرثى الوشاح (٢) سرف على وزن كتف موضع على عشرة أميال من مكة (٣) برزة الجمال : بارزة المحاسن أو متجاهرة برز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون (٤) ص ٩٩ ج ١ من الاغانى

فاتّعدا لبعض الشّعاب فلما توسّطا الشّعب [1] أخذتهما السماء، فكره أن يُرى بثيابها بَلَل المطر، فيقال لها: ألا استترت بسقائف المسجد إن كنت فيه؟ فأمر غلمانه فستروهما بكساء خزّ كان عليه. وفى ذلك يقول:

ومن لسقيمٍ يكتم الناس مابه ... لزينبَ تجوى صدره والوساوِسُ
أقول لمن يبغى الشفاء متى تجىء ... بزينب تُدْرِكْ بعض ما أنت لامس
فانك إن لم تشف من سقمى بها ... فانىَ من طب الأطباء آيسُ
ولست بناسٍ ليلةَ الدار مجلساً ... لزينب حتى يعلوَ الرأس رامس [2]
خلاءً بدت قرّاؤُهُ وتكشّفتْ ... دُجُنّته وغاب من هو حارسُ
وما نِلت منها محرماً غير أننا ... كلانا من الثوب المورّدِ لابس
نجيّيْنِ نقضى اللهوَ فى غير مأثمٍ
وإن رغمتْ منّا الكاشحين المعاطس [3]

ومن شعره فى زينب قوله:

طال من آل زينب الإعراض ... للتعدّى وما بها الابغاضُ
ووليدين كان عُلّقها القلـــبُ إلى أن علا الرءوس بياضُ

(١) الشعب بالكسر الطريق في الجبل (٢) الرامس: الدافن في الرمس وهو التبر
(٣) المعاطس جمع معطس وهو الانف

حبلها عندنا متينٌ وحبلى عندنا واهن القُوَى أنقاض[1]
نظرت يوم فرع لِفتٍ الينا نظرة كان رجْعها إيماض[2]
حين قالت لموكب كمها الرم ل أطاعت له النباتَ الرياضُ
عُجْنَ نحو الفتى البغال نحيبٍ ه بما تكتم القلوب المِراضُ
وأُحدِّثه ما تضمنت منهُ إذ خلا اليوم للمسير المرَاض[3]

وقوله :

تصابى القلب وادّكرا صباه ولم يكن ذكرا
لزينب إذ تُجدّ لنا صفاءً لم يكن كدرا
أليست بالتى قالت لمولاةٍ لهـا ظُهرا
أشيرى بالسـلام له اذا هو نحونا خطرا
لقد أرسلت جاريتى وقلت لها خذى حذرا
وقولى فى ملاطفةٍ لزينب نوِّلى عمرا

(١) القوى : طاقات الحبل ،مفردها قوة . والانقاض جمع نقض بالكسر وهو الحبل الذى لم يجود فتله ولم يبرم (٢) لفت بالكسر ثنية بين مكة والمدينة
(٣) المراض مكان الرياضة ، وهو هنا موضع على طريق الحجاز من ناحية الكوفة . قال ياقوت : وهناك لقى الوليد بن عقبة بن أبى معيط بجادا مولى عثمان ابن عفان رضى الله عنه فأخبره بقتل عثمان فقال :

يوم لاقيت بالمراض بجاداً ليت أنى هلكت قبل بجاد

فهزَّت رأسها عجباً وقالت من بذا أمرا
أهذا سِحرك النسوا نَ قد خبَّرنى الخبرا

وقوله :

ايها الكاشح المعيِّر بالصَّرْ مِ تزحزحْ فما لها الهجرانُ
لا مُطاعٌ فى آل زينب فارجع أو تكلَّم حتى يملَّ اللسانُ
فنجعل الليلَ موعداً حين تُمسى ثم نُخفى حديثنا الكتمانُ
كيف صبرى عن بعض نفسى وهل يصـ ـبر عن بعض نفسه الانسانُ
ولقد أشهد المحدَّث عند الـ ـقصر فيه تعفُّفٌ وبيانُ [1]
فى زمان من المعيشة لَدْنٍ قد مضى عصر دوهذا زمانُ

ومن شعره فيها هذه الرائية الغزلة التى عدُّوها من هفواته ورأوه نسب فيها بنفسه ، وهي لو يعلمون من أظرف مايقوله شاعر حُلُو شمائل فى حِسان يتلمَّسن أسباب هواه

مازال طرفى يحار اذ برزت حتى رأيت النقصان فى بصرى
ابصرتها ليلةً ونسوتها يمشين بين المقام والحجر
ما ان طمعنا بها ولا طمعت حتى التقينا ليلاً على قَدَر [2]

(١) المحدث : الحديث ، فهو مصدر على صيغة المفعول
(٢) على قدر : مصادفة على غير موعد

بيضاً حِسانًا خرائدا قُطُفًا يمشين هَوْنًا كمشية البقر (١)
قد فزن بالحسن والجمال معاً وفزن رِسلا بالدلّ والخفر (٢)
قالت لِتِرب لها تحدّثها لتفسدنّ الطواف فى عمر
قومى تصدّىْ له ليعرفنا ثم اغمزيه ياأخت فى خفر
قالت لها قد غمزته فأبى ثم اسبطرّت تسعى على اثرى (٣)
من يُسق بعد المنام ريقتها يُسق بمسك وباردٍ خَصِرِ (٤)

وقد لاحظت انه يُفيض فيما يُسبغ على زينب هذه من الاوصاف الحِسية ، كقوله :

يامن لقلب متيم كلفٍ يهذى بخود مريضة النظر (٥)
تمشى الهوينا اذا مشت فُضُلاً وهى كمثل المُسْلوج فى الشجر (٦)

وقوله من كلمة أخرى

خَدَلَّجة اذا انصرفتْ رأيت وِشاحها قَلِقا (٧)
وساقاً تملأ الخلخا ل فيه تراه مختنقا

(١) الخرائد جمع خريدة وهى الخفرة الحيية . والقطف جمع قطوف وهى البطيئة السير ، وذلك أثر الترف في النساء (٢) الرسل بالكسر الرفق واللين (٣) اسبطرت : اسرعت (٤) الخصر : البارد (٥) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة (٦) الفضل بضمتين المختالة التى تفضل من ذيلها ، وكان هذا في ذلك العصر شارة النعمة ورغد العيش والمسلوج : الغصن اللين (٧) الخدلجة بتشديد اللام المرأة الممتلئة الذراعين والساقين